التصوير القرآني لمراحل الخلق التكويني للإنسان.

مخلف نجم عبيد الخفاجي جامعة بابل (العراق)

أ.د.عبد الكريم الحيدري، جامعة بابل (العراق)

م. م. علي عبيس حسين علي المعموري*، جامعة بابل (العراق)

تاريخ الاستلام: 2023/05/17 تاريخ القبول: 2023/08/02 تاريخ النشر: 2023/10/14

لتوثيق هذا المقال: أسلوب إيزو 690-2010

مخلف نجم عبيد الخفاجي ، أ.د.عبد الكريم الحيدري ، م. م. علي عبيس حسين علي المعموري ، 2023 التصوير القرآني لمراحل الخلق التكويني للإنسان. . *مجلة التراث*، المجلد 13 العدد 03 من ص33 ، إلى ص 50.[*E-ISSN 2602-6813 ISSN: 0339-2253*].

تنبيه:

ما ورد في هذه المجلة يعبر عن آراء المؤلفين ولا يعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير أو الجامعة وتخضع كل منشورات للحماية القانونية المتعلقة بقواعد الملكية الفكرية، ويحمل أصحابها فقط كل تبعات مؤلفاتهم.

Attention:

What is stated in this journal expresses the opinions of the authors and does not necessarily reflect the views of the editorial board or university. All publications are subject to legal protection related to intellectual property rules, and their owners only bear all the consequences of their literature.

Open Access Available On: https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/323

OPEN ACCESS

creative commons

V .4 .0

ملخص:

التصوير الذي وصف به الله سبحانه و تعالى انبياءه آدم و عيسى عليهما السلام والذي يختلف عن وصف و تصوير باقي البشر حيث كرمهم الله بكرامات كثيره و سيتناولها البحث بدليل الآيات القرآنية , هدف البحث هو التعرف على القصص القرآني الاعجازي التكويني و الذي يعتبر خلقهما آية من آيات التحدي بدليل ان عيسى ولد من ام و ليس لديه اب و هذة ابسط خلقاً مقارنةً بنبي الله آدم الذي خلق من تراب.منهج البحث هو تكوين من بدايته الخلقيه الاعجازية الى مراحل الحياة، اهم المواضيع هو بدايع تكوين آدم و عيسى و حياتهما و اهم آراء من القبل المفسيرن في القصص القرآنز و خصوصاً قصتي آدم و عيسى و اهم االنتائج انهم خلقهم ليس كخلق باقي البشر. وبيان اعجاز القدرة الالهية في التكوين و قد اشارة الله سبحانه في القرآن بالتساوي العددي لهما حيث ذكر كل منهما خمسه و عشرون مرة في القرآن بمعنى خمسون مرة و اشتركوا في آيه واحدة و هي آية المثل (﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ ﴾(آل عمران: 59–60) و ستناولها البحث بالتفصيل و من الله التوفيق.

الكلمات المفتاحية :خلق الْانسان, دافق , التكوين في الآيات القرآنية .

Abstract:

The perception described by the exalted prophets Adam and Jesus, peace be upon them both, and differs from the description of the depiction of the rest of human beings, where God honored them with many blessings. Searching for the verses of the Qur'an, the aim of the research is to identify the Qur'anic narrative, from its inception to the miraculous creation to the stages of life, the most important topics in the creation of Adam and Jesus And the most important result is that their creation is not the same as the creation of other human beings. And a statement of the miraculousness of the divine power in formation, and God Almighty has indicated in the Qur'an the numerical equality of the two, as each of them is mentioned twenty-five times in the Qur'an, meaning fifty times, and they shared one verse, which is the verse of proverb ({Indeed, the likeness of Jesus with God is like the likeness of Adam, He created him from earth father Then He said to him: Be, and it will be * the truth from your Lord, so do not be of those who doubt (Al-Imran: 59-60) and we will discuss it in detail, and from God is success

Keywords: Creation of man, flush, formation in the Quranic verse

مقدمة:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ﴾(آل عمران: 59-60). ذكر الله تبارك وتعالى هاتين الآيتين الكريمتين من سورة آل عمران في ضمن الآيات التي أنزلها في شأن النصارى، لما قدِم على النبي صلى الله عليه وسلم وفدٌ من نصارى نجران، وناظروه في المسيح- عليه السلام- وأنزل الله تعالى فيه ما أنزل، فبين فيه قول الحق الذي اختلفت فيه اليهود، والنصارى ؛ وذلك قوله تعالى:﴿ ذَلِكَ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾(مريم: 34). أما اليهود فقد ارتضوا الجريمة مركبًا، فقتلوا أنفسهم، وقتلوا الحق معهم، وقالوا في المسيح: إنه ولِدَ- كما يولَد الناس- من ذكر وأنثى، وإن ميلاده كان على فراش الإثم والفاحشة، مع قولهم لعنهم الله: إنه ساحرٌ وكذاب. وأما النصارى فقد قصُرَت مداركهم عن إدراك قدرة الله تعالى وسيتناول البحث الموضوع باوسع صورة عن خلق آدم و عيسى.

المبحث الأول: خلق الْانسان أطوارا في القرآن الكريم:

ذكر القرآن الكريم قصة خلق الإنسان بدقة كبيرة، خالية من أي مقولة مشوبة بالخطأ أو غامضة، وقد أوردَ القصة وعبّر عنها بعبارات بسيطة ودقيقة، فكانت على الإنسان سهلة الفهم والإدراك، وتتفق تماماً مع ما سيكتشف بعد ذلك بكثير.

واذا كانت قصة خلق ادم قد وردت في العشرات من ايات القران, دون ان يكون لها ترتيب واضح, فإن القرآن الكريم يعرض مستشهداً بمقولات ينصب كل منها على إشارة أو مجموعة إشارات خاصة، فارتأينا جمعَ الآيات هذه؛ ليصبح عندنا فكرة شاملة وكاملة، ذلك ييسر التعليق مثلما فعلنا بالنسبة للموضوعات الأخرى التي عالجناها.[1]

ومن الآيات القرآنية التي تناولت مسألة اخلق الانسان ومراحلة منذ التكوين الاول, ولغاية تمام خلقه, قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ, ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ, ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ, فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[2].

حيث اثبت العلم الحديث بأن "جسم الإنسان يتكون من عناصر التراب وبالتحليل وجد أنه يتكون أكثر من 24 عنصراً وهي عناصر التراب أو القشرة الأرضية الخصبة".[3] وهذا تفسيرا علميا لقوله تعالى: **(خلقنا الانسان من سلالة من طين)**, بمعنى ان الله تعالى قد خلق القشرة من هذه العناصر, ومن ثم جمع منها الخلاصة التي تتركب منها اجسامنا, وهذه السلالة او الخلاصة, انما حدثت نتيجة لتفاعلات كيميائية, وهي ما يعبر عنها اهل العلم والطب بالطين المتغير, والتي عبر عنها القران الكريم بالحمأ المسنون[4].

وثبت أيضاً للعلماء بان النطفة، وهي المني الذي يخرج من الذكر والذي يتكون منه الجنين, انما تتولد عن الدم الذي هو نتاج الغذاء النباتي, وغيره المكون بمحتوياته من عناصر التراب[5].

فالانسان والحيوان والنبات وسائر الكائنات الحية عندما تموت, وتتاكل اجسامها تتحلل لعناصر اخرى تعود للارض[6].

([1]) ينظر القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم 225.

([2]) المؤمنون /12-14.

([3]) ينظر في ذلك معجزة القران, ص114, وايضا الارض في القران الكريم, ص205, والاعجاز العلمي في القران الكريم,محمد ارناؤوط, ص294.

([4]) التفسير العلمي في القرآن الكريم / محمد سيد أرناؤوط 306-307.

([5]) ينظر القرآن إعجاز يتعاظم 142-143، القرآن يفك لغز الأرض 96.

([6]) القرآن يفك لغز الأرض 96.

احدى الضوابط العلمية المتفق عليها في القران الكريم هو جمع اياته المتلقة بموضوع واحد, وفي هذه الايات نجد ان كل اية منها تنطوي على اشارة صريحة الى حال من احوال المادة الاولية التي يتألف منها جسم الانسان, وقد اشار اليها تعالى جل جلاله بالفاظ متباينة ومختلفة, فتارة عبر عنها بالتراب, وتارة اخرى عبر عنها بالطين, واخرى من الحمأ المسنون, والطين اللازب, واحيانا اخرى نجد يعبر عنها بالصلصال كالفخار, وبالعودة لمعاجم اللغة العربية للبحث في دلالة هذه الالفاظ نجد ان كل منها يصف حالة مختلفة تماما للتربة, وبذلك فقد اوضح تعالى في هذه الايات الكريمة المباركة في كل واحدة منها حالة من حالات هذه التربة, وبما يتماشى ويتناسب مع المعنى والسياق العام للاية من حيث ورودها في تلك السورة.

وفي ذلك يشير سيد قطب الى انه "في الأعراف كانت نقطة التركيز في السياق من الجنة وإليها، وإظهار عداوة إبليس للإنسان منذ أن بدأت الرحلة إلى نهايتها.. وفي سورة الحجر، فإن نقطة التركيز في السياق هي سر تكوين آدم، وسر الهدى والضلال ... ومن ثم نص ابتداء على خلق الله آدم من صلصال من حمأ مسنون.. وهكذا في الآيات الأخرى" [7].

ولاجل الوقوف على هذه الحقائق العلمية برمتها والبحث فيها, فان ذلك يستلزم منا جمع هذه الايات باكملها, اذ ان القران الكريم وفقا لما اتفق عليه اهل العلم والمفسرون يفسر بعضه بعضا, فهو وحدة متجانسة ومتكاملة, حيث ان النص القراني واحدا وينبع من مصدر واحد وهو كلام الله جل جلاله من اوله الى اخره.

ومن الدلالات السياقية للايات وغير السياسية, بمعنى وجود دلالات اخرى في ايات اخر خارج السياق, وبذلك يمكن ان نخرج بحقيقة واضحة عن قصة بداية الخلق والنشأة الاولى للانسان بجميع تفاصيلها ومكنوناتها, على النحو الذي وصل اليه العلم الحديث مؤخرا بفضل التطور والتقدم العلمي والطبي, والذي سبقه القران الكريم بالكشف عنه بالتفصيل الدقيق قبل اكثر من 15 قرنا.

اما بخصوص بعض الايات التي تتحمل في تفسيرها وتأويلها وجوها ومعان مختلفة, كما في قوله تعالى: **(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ)**.[8]

ففي ذلك يرى السيوطي بان "المراد بالإنسان هنا هو سيدنا آدم عليه السلام, وعاد عليه الضمير مراداً به ولده، وهذا الذي يسمى في علم البلاغة بالاستخدام, وهو التورية, أشرفُ أنواعِ البديع, ولها طريقتان منها طريقة السكاكي وأتباعه وهي أن يؤتى بلفظ له معنيان فأكثر مرادا به أحد معانيه, ثم يؤتى بضميره مُراداً به المعنى الآخر, لأن آدم لم يُخلق من نطفة"[9]

أما الوجه الثاني لقوله تعالى: **(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ)**.

فالانسان هنا من الممكن ان يراد به نوع اخر على النحو الذي اشار اليه الرازي, بقوله: "إن الإنسان شامل وولده كما ذكرنا سابقاً"[10], وهو موافق أيضاً للتفسير العلمي الحديث الذي يقول بأن أصل الإنسان تراب, وهي المادّة المكوّنة لجسم الإنسان مع الماء.

([7]) ينظر في ظلال القرآن 2137/4.

([8]) المؤمنون 12-13.

([9]) الاتقان في علوم القران, 549/1.

([10]) ينظر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم / محمد سيد أرناؤوط 307.

اما فيما يتعلق بالحرف (ثم), في الايتين اعلاه, فمن المعلوم ان (ثم) في اللغة العربية تفيد التراخي بين متعاطفين, والفترة الزمنية ما بين خلق الانسان من الطين, وما بين تناسله من النطف تحتاج لوقت محدد, كما تفيد التراخي في تكوين النطفة من اصل الطين, الى ان تتحول لنطفة[11].

ومن ذلك قوله تعالى: (**فَلْيَنظُرِ الإنسان مِمَّ خُلِقَ, خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ, يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصلب والترآئب**)[12].

وعن الفراهيدي[13]: "دفق الماء دُفوقاً ودَفقاً إذا انصب بَمَرَّةٍ، وماء دافق والنطفة تدفق".

وقال ابن فارس[14]: "الدال والفاء والقاف أصل واحد مطّرد قياسه، وهو دفعُ الشيء قُدُماً. من ذلك دفق الماء، هو ماء دافق، وهذه دفقة من الماء".

وجاء في لسان العرب لابن منظور بان: "اندفق وتدَفق واستدفق انصب، وقيل أنصب بمرة، فهو دافق أي مدفوق كما قالوا سر كاتم أي مكتوم، لأنه من قولك دفق الماء على ما لم يسم فاعله".

وفي المفردات للاصفهاني: الماء الدافق, سائل بسرعة[15].

أما الصلب لغةً: فقال الفراهيدي: "الصُلب، وهو عظم الفقار المتصل في وسط الظهر".

وفي اللسان: "الصلب, عظم من لَدُنِ الكاهِل إلى العَجْب والجمع أصلب وأصلاب... والصُلب من الظهر، وكل شيء من الظهر فيه فقار، فذلك الصُلب"[16].

وعند الاصفهاني: "الصلب, والأصلاب استخراج الودك من العظم"[17].

أما الترِيبة: فقد ورد في معجم الصحاح للجواهري بان: "واحدة الترائب، وهي عظام الصدر ما بين الترقوة إلى الثندوة"[18].

كما جاء في لسان العرب بان: "الترائب هي موضع القلادة من الصدر، وقيل هو ما بين الترقوة والثندوة، وقيل الترائب عظام الصدر، وقيل وإلى الترقوتين منه؛ وقيل ما بين الثديين والترقوتين وقيل الترائب أربع أضلاع من اليمنة وأربع أضلاع من اليسرة وقيل التريبتان الضلعان اللتان تليان الترقوتين"[19].

وقد اختلف المفسرون من اهل العلم في تفسير هذه الاية, وذهبت اراءهم الى وجهين:

الاولى: ان الولد مخلوق من ماء الرجل, والذي يخرج من صلبه,ممزوجا مع ترائب المرأة, وهو قول عض من اهل العلم والمفسرين.

([11]) المصدرنفسه, ص 309.

([12]) الطارق /5-7.

([13]) العين (دفق) 120/5.

([14]) مقاييس اللغة / دفق 286/2.

([15]) مفردات الراغب (دفق) 246.

([16]) اللسان (صلب) 526/1.

([17]) المفردات للراغب (صلب) 419.

([18]) الصحاح (ترب) 91/1.

([19]) لسان العرب (ترب) 230/1.

اما الثانية: فيذهب اصحابها الى ان الانسان خلق من ماء الرجل وترائبه, ومن صلب المرأة وترائبها, والى ذلك ذهب جمهور اهل العلم والمفسرين[20].

اذ يرى البعض بان: " ماء الرجل يخرج متدفقاً، كما تشير هذه الآية، ومما يلفت النظر أن القرآن يسند التدفق للماء نفسه, مما يشير إلى أن للماء قوة دفع ذاتية. وقد أثبت العلم في عصرنا الحديث أنّ المنويات التي يحتويها ماء الرجل لا بدّ أن تكون حيوية متدفقة متحركة، وهذا شرط للإخصاب" [21].

وهو ما اثبته العلم, اذ ان ماء المرأة الذي يحمل البيضة يخرج متدفقا ايضا, نحو قناة الرحم او ما يطلق عليه (الفالوب), حيث ان البيضة بطبيعتها حيوية متحركة ومتدفقة لحين تمام الاخصاب, ومن المتفق عليه علميا كذلك ان ماء الرجل يضم عناصر اخرى بالاضافة الى المنويات, تساهم في عملية الاخصاب, كمادة (البروستاكلاندين), والتي تساهم ف حدوث تقلصات الرحمالامر الذي يساعد في عملية نقل المنويات الى موقع الاخصاب[22].

فالحيوانات المنوية "هي كائنات حية نشطة تسبح في سائل منوي وهو الذي يخرج من الرجل عند القذف، وتحتوي الدفعة الواحدة نحو 400 مليون حيوان منوي، كما يتدفق السائل بشكل سريع ويحتوي الحيوان على ذيل طويل، ورأس مصفح يساعد على السباحة السريعة" [23].

اما التفسير العلمي لقوله تعالى :(يخرج من بين الصلب والترائب), فيرى فالمراد منه هو ان الخصية في الذكر والمبيض في الانثى تتكون خلال عملية التطور الجيني, فتتحول من الخلية التناسلية :

تفسير دافق عند المفسرين :

كما اختلف المفسرين ايضا في تفسير قوله تعالى (دافق), وذهبت اراءهم بهذا الصدد نحو ثلاثة اتجاهات:

الاول:- يرى اصحاب هذا القول بان الماء الدافق بمعنى مدفوق، كما قالوا: سرٌ كاتم, أيْ مكتوم, وبهذا قال الفراء: "وأهل الحجاز أفعل لهذا من غيرهم, أن يفعلوا المفعول فاعلاً إذا كان في مذهب نعت" [24].

وقد اجمع على ذلك البغوي[25], والطبري[26], وابو حيان[27], والشوكاني[28], وغيرهم من المفسرين والعلماء.

([20]) ينظر جامع البيان 143/30-144، التفسير الكبير 117/31 الجامع لأحكام القرآن 706/20 جواهر الحسان 402/4 فتح القدير 419/5 روح المعاني 97/30.

([21]) علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة 32-33.

([22]) المصدر نفسه 33.

([23]) ينظر إعجاز علم الحياة 78-94، أعجاز القرآن في خلق الإنسان 120-124.

([24]) الفراء 255/3، وينظر لسان العرب / دفق.

([25]) تفسير البغوي 473/4.

([26]) جامع البيان 143/30.

([27]) البحر المحيط 451/10.

([28]) فتح القدير 419/5.

اما الثاني: فيرى ان معنى الدافق هو ذي اندفاق، وفي ذلك قال الزجاج: "يقال دارع وفارس ونابل أيْ ذو فرس ودرع ونبل وهذا مذهب سيبويه, فالدافق هو المندفق بشدة, وأراد الماءين ماء الرجل وماء المرأة, لأن الإنسان مخلوق منهما لكن جعلهما واحداً لامتزاجِهما"[29].

وقد اجمع على ذلك البيضاوي[30], وابو مسعود[31], والقرطبي[32], وغيرهم من اهل العلم والتفسير.

اما الرأي الثالث: فيذهب الى تفسير الدافق بالمعنى المراد منه, لأن اندفق الماء بمعنى نزل[33], وفي ذلك قال العكبري في التبيان: "وقيل وهو الصواب أنه اسم فاعل على بابه ولا يلزم من ذلك أن يكون هو فاعل الدفق فإن اسم الفاعل هو من قام به الفعل سواء فعله هو أو غيره كما يقال ماء جارٍ ورجل ميت وإن لم يفعل الموت بل لما قام به الموت نسب إليه على جهة الفعل وهذا غير منكر في لغة أمة من الأمم فضلاً عن أوسع اللغات وأفصحها".[34]

وهو ما انتهى اليه الالوسي بقوله: "وقيل اسم فاعل وإسناده إلى الماء مجاز وأسند ما لصاحبه مبالغة أو هو استعارة مكنية وتخييلية كما ذهب إليه السكاكي ومصرحه لجعله دافقاً لأنه لتتابع قطراته كأنه يدفقها أي يدفع بعضه بعضاً"[35].

ومما سبق نرى بان التفسير العلمي يتفق واقوال العلماء الثلاثة سالفة الذكر, فعن قولهم بان دافق بمعنى (مدفوق), فهو لا يتقاطع مع النظرة العلمية اذ ان الماء يقذف قذفا وهو مقذوف, كما ان التقلصات الرحمية هي المسؤولة عن تدفق الماء ودفعه.

اما قولهم الثاني بان المراد منه بانه (ذي دفق), فان الماء الذي يتكون منه الجنين في الرحم, انما يكون متدفقا بخلاف باقي الافرازات فيه, والتي ليس لها اي علاقة بنشأة الجنين وتكونه, وانما تضطلع بوظائف اخرى مساعدة, وهذه المياه لا تقذف, فالماءالذي يتكون منه الجنين اذن هو ماء ذي دفق, وهو ما يتفق مع اصحاب القول الثاني.

وفي ذلك نجد ان الكتور (محمد كمال) قد اشار لهذه الافرازات بنوع من التفصيل مبينا عدم علاقتها بتكوين ونشأة الجنين, نظرا لكونها غير متدفقة, وذلك بخلاف الماء الذي ينشأ منه الجنين[36].

في حين يرى اخرون ممن فسرو هذه الاية تفسيرا علميا من العلماء المحدثين بان: "دافق باقٍ على المعنى فهو اسم فاعل ولكن ليس على سبيل المجاز كما ذكر القدماء, بل المراد منه على حقيقة المعنى بعد أن توصّل العلم الحديث إلى معرفة حقيقة هذا الماء الذي يحتوي على حيوانات منوية سابحة, فهذه الحيوانات جزء من هذه المياه وهي التي أطلق عليها لفظ الماء, فهذه الحيوانات هي التي تتدفق فهي الفاعلة لذا يمكن أخذ المعنى (دافق) على معناه. والدفق يشير إلى السرعة كما أن هذه الحيوانات تسبح بسرعة"[37].

([29]) ينظر معاني القرآن وإعرابه 311/5.

([30]) أنوار التنزيل 1146/2.

([31]) إرشاد العقل السليم 141/9.

([32]) الجامع لأحكام القرآن 4/20.

([33]) التبيان في إعراب القرآن 258/2.

([34]) التبيان في أقسام القرآن 64.

([35]) روح المعاني 97/30.

([36]) ينظر إعجاز القرآن في خلق الإنسان 78-79.

([37]) ينظر علم الأجنة 32-33.

وفي ذلك ذهب القرطبي في تفسير قوله تعالى (يخرب من بين الصلب والترائب), الى ان "من جعل المني يخرج من بين صلب الرجل وترائبه فالضمير في يخرج للماء ومن جعله من بين صلب الرجل وترائب المرأة فالضمير للإنسان"[38]

والراجح هنا والله اعلم ان الضمير يعود على الماء, فهو الاقرب لقوله تعالى يخرج, وهذا ما اشار اليه واثبته العلم الحديث بالادلة والبراهين, فالماء انما يخرج من صلب الرجل وترائبه, ومن صلب وترائب المرأة.

وفي ذلك ننفق مع ما ذهب اليه قول الدكتور (محمد كمال) بهذ الصدد: "ولم أجد في المراجع الكثيرة التي رجعت إليها أفضل مما كتب الدكتور محمد علي البار في كتابه القيم (خلق الإنسان بين الطب و القرآن) والذي يرى بان الآية الكريمة إعجاز كامل، حيث تقول من بين الصلب و الترائب ولم تقل من الصلب و الترائب .. فكلمة بين ليست بلاغية فحسب وإنما تعطي الدقة العلمية المتناهية.. وقد أخطأ كثير من المفسرين القدامى، حيث لم يهتموا بهذه اللفظة (بين) .. وقالوا : إن المني يخرج من صلب الرجل. وماء المرأة يتكون من ترائبها .. وهذا خطأ علمي، وخطأ منهجي، حيث لم يعطوا الآية حقها فحذفوا كلمة (بين) ولهذا وقعوا في الخطأ ..." [39].

ومما يثير العجب ان الامام ابن القيم قد نبه عن هذا الخطأ الذي وقع فيه العديد من المفسرين بقوله: "ولا خلاف أن المراد بالصلب صلب الرجل وأختلف في الترائب فقيل: المراد به ترائبه أيضا. وهي عظام الصدر ما بين الترقوة و الثندوة .. وقيل: المراد بها ترائب المرأة. والأول أظهر، لأنه سبحانه قال (يخرج من بين الصلب والترائب) ولم يقل يخرج من الصلب والترائب، فلا بد أن يكون ماء الرجل خارجا من بين هذين الملتقيين كما قال في اللبن (يخرج من بين فرثٍ ودمٍ لبنا خالصاً)" [40].

الا ان العلم الحديث قد اشار الى صلب الرجل والمرأة وترائبهما معا.

وفي معنى (سلالة من ماء مهين), في قوله تعالى: (وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ, ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ)[41], فان قوله تعالى (جعل نسله), يراد بها ذريته وقد سميت بذلك لكونها من سلالة النطفة ذاتها, وهذا مما ورد عن ابن عباس (رضي الله عنه) بان (من سلالة) صفو الماء [42]. وقال النسفي "والعرب تسمي النطفة سلاسة, للقليل مما ينسل والمهين الصعيف"[43], اما الالوسي فيرى بان المراد بقوله (من سلالة) اي خلاصة, واصلها ما يخلص ويسل بالتصفية, من الماء المهين, اي الممتهن الذي يعتني به وهو المني[44].

والسلالة تستخلص من ماء الرجل على شكل سمكة طويلة,

كما استشهد اهل العلم في تفسيرهم لهذه الاية المبركة بحديث الرسول (صلى الله عليه وسلم), فيما روي عنه انه قال: "ما من كل الماء يكون الولد، وإذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء"[45], وقد ثبت علميا صحة هذا الامر, اذ ان جزء يسيرا من المني فقط هو الذي يخلق منه الولد, في حين ان هناك اختيارا بعد اختيار لهذه الحيوانات المنوية, فلا يصل منها الا ما ارادته المشيئة الالهية,

---

([38]) ينظر الجامع لأحكام القرآن 7/20.

([39]) إعجاز القرآن في خلق الإنسان 74 – 75.

([40]) النحل / 66.

([41]) السجدة 7 –8.

([42]) ينظر جامع البيان 59/21، تفسير الواحدي 853/2،تفسير البغوي 498/3،الكشاف 932/3،التفسير الكبير 151/25، تفسير النسفي 462/2.

([43]) معاني القران للنحاس 301/5.

([44]) روح المعاني 124/21.

([45]) صحيح مسلم رقم الحديث (1438) / 1064/2.

والتي قدرت لكل شيء قدر, ومن جانب اخر فان هناك اصطفاء واختيار امني للبويضة, فمبيض الطفلة وهي ما تزال جنينا في بطن الام, تحتوي على ما يقارب (6مليون) بويضة, واذا ما خرجت الى الدنيا فيموت الكثير منها, وتستمر هذه البويضات في الاندثار حتى اذا بلغت الفتاة المحيض, فانه لم يبق منها الا ثلاثون الفا..., اضافة الى ما ينمو منها ويخرج من المبيض, والذي لا يزيد عن اربعمائة بويضة, في كامل حياة المرأة, ففي كل شهر تنمو منها مجاميع, الا ان يد القدرة الالهية تشاء ان تختار واحدة منها فقط لتستمر في عملية النمو وتخرج لملاقاة الحيوان المنوي[46].

كما انه ليس كل ما يخرج من المرأة من الماء يكون منه الولد, اذ ان الماء الذي يخرج ما هو الا رشح, ولو كان جميع هذا الماء يتكون منه الجنين, فما كان من انسان على وجه الارض, اذ ان الماء المقصود هنا هو البويضة التي لا تخرج مع الماء[47].

ومما سبق نرى بان جميع ما ذكره وانتهى اليه اهل العلم من المفسرين مطابق تماما لما انتهى اليه العلم الحديث, في بحوثهم ودراساتهم عن احوال الجنين والسلالة, فهي خلاصة من ماء وصفوه, فالسل هو انتزاع الشيء واخراجه برفق, وهو توصيف دقيق لحال الحيوان المنوي, وقم سميت البيضة سلالة على وزن فعالة, وهي تدل على القلة المنفصلة من ذلك الماء المهين.

ومما يجدر الاشارة اليه بهذا الصدد هو ان معنى قوله تعالى في الاية السابقة (جعل نسله), وفقا لما ذهب اليه المفسرون انما يراد منها (جعل ذريته), وان الذرية في هذا الصدد تطلق على كل من نسل الرجل والمرأة على حد سواء, ولعل من الادلة الواضحة على اثبات هذا الامر هو ما جاء في ايات القران الكريم من الفاظ, فعن لسان ام مريم عليها السلام قال تعالى: (وإني أُعيذها بِك وَذُرّيتها من الشيطان الرجيم) [48], وهي دلالة لفظية غير سياقية, تشيرالى ان الذرية قد تكون من المرأة والرجل سواء, وهو ما اكده العلم الحديث, وقد اوحى اليه تبارك جل جلاله بكتابه العزيز, بان السلالة احسن جزء من شيء[49].

وقد قال الفراهيدي ان: "النَّطْفُ اللؤلؤ، الواحدة نطفة، وهي صافية الماء، وقيل الواحدة نطفة والجمع نطفُ تشبيها بقطرة الماء... والنطفة هي التي يكون منها الولد"[50].

وعند ابن منظور: "النطفة والنطافة: القليل من الماء، وقيل الماء القليل يبقى في التربة، قيل هي كجرعة ولا فِعل للنطفة, والنطفة الماء القليل يبقى في الدلو ... والنطفة ماء الرجل والجمع نطف... والنطف القطر... والتربة تنطف أيْ تقطر" [51].

أما قوله أمشاج فقد جاء في العين بان: "المِشْجُ: اختلاط حُمرة ببياض، والمشج منه، وكل لون من ذلك مَشَج، والجمع أمشاج، ولا يفرد... والمشيج كل لون مستنكر خَلطه غيره"[52].

حيث ورد في لسان العرب بان المِشْج والمِشِيج: "كل لونين اختلطا معاً، وقيل هو ما اختلط من بياض وحمرة، وقيل: هو كل شيئين مختلطين، والجمع أمشاج مثل: يتم وأيتام, وقال ابن السكيت: الأمشاج الأخلاطُ, يريد بالأخلاط النطفة؛ لأنها ممتزجة من أنواع، ولذلك يولد الإنسان ذا طبائع مختلفة، وفي الحديث في صفة وشكل المولود: ثم يكون مشيج أربعين، والمشيج المختلط أربعين

([46]) ينظر الإعجاز العلمي في الإسلام / السنة النبوية /95.

([47]) الإعجاز العلمي في القران الكريم 309.

([48]) أل عمران /36.

([49]) ينظر القرآن الكريم والتوراة 230 (بتصرف).

([50]) العين (نطف) 436/7.

([51]) لسان العرب (نطف) 335/9.

([52]) العين (مشج) 41/6.

ليلة... عن أبي عبيدة وعليه أمشاج غزول أي داخلة بعضها في بعض، يعني البرود فيها ألوان الغزل. الأصمعي: أمشاج وأوشاج غزول داخلٌ بعضها في بعض"[53].

اما المفسرون من علماء المسلمين فقد اختلفو في تفسير معنى قوله تعالى: (امشاج).

فقد ورد عن عكرمة بانه قال: "ماء الرجل وماء المرأة يختلطان", وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) انه قال: "يراد منه ماء الرجل والمرأة ان اجتمعا واختلطا معا, ثم ينتقل بعد ذلك من طور لاخر, ومن حال لاخر, ومن لون الى لون اخر"[54].

وقال آخرون "اختلاف ألوان النطفة", كما ورد عن مجاهد انه قال: "اي الماءين سبق اشبه عليه اعمامه واخواله", وقال الطبري: (واشبه هذه بالصواب قول من قال معنى ذلك نطفة امشاج, اي نطفة الرجل ونطفة المرأة, لان الله تعالى قد وصف النطفة بانها امشاج, وهي اذا انتقلت فصارت علقة, فقد استحالت عن معنى النطفة, فكيف تكون نطفة امشاج اذن وهي علقة؟)[55].

وعقب عملية خلق الانسان الاولى بساعات تبدأ عملية جديدة تتحدد من خلالها صفات الجنين وملامحه الخلقية التي ستظهر عليه لاحقا, وهيالصفات السائدة, كما تتحدد من خلالها الصفات المتنحية, والتي قد تظهر على الاجيال القادمة, اذ يتضمن التقدير الذي يحدث على النطفة الامشاج, تحديد الانوثة والذكورية, فاذا كان الحيوان المنوي للرجل, والذي نجح في تلقيح بيضة الانثى يحمل كروموسوم (Y), كانت النتيجة ذكرا, واذا كان الحيوان المنوي يحمل كروموسوم (X) فالنتيجة تكون انثى[56].

فالبيضة الملقحة تأخذ شكل القطرة, وهو ما يتفق كليا مع المعنى الاول للفظة النطفة اي القطرة [57], وفي قوله (امشاج), فان فيه اشارة للجينات الوراثية او ما يعرف بالصبغيات, من الاب والام واختلاط بعضها ببعض, وامتزاجها بخلية الجنين, اذ ان المشيج لغة هو كل لونين اختلطا, لذا فان امشاج البدن هي طبائعه, وفي ذلك قول ابن السكيت: "الأمشاج الأخلاط، يريد بالأخلاط النطفة؛ لأنها ممتزجة من أنواع، ولذلك يولد الإنسان ذا طبائع مختلفة"[58].

وهذه النطفة الامشاج, اي المختلطة تدخل بعضها في بعضه الاخر, وفي ذلك اشاء ابوعبيدة بقوله: "وعليها امشاج العزول", بمعنى انها داخلة في بعضها, وبالتالي فان هذه الاية قد اشارتالى الجينات الوراثية, او الصبغيات من الام والاب, ونقلها للصفات الوراثية للجنين[59].

والتفسير العلمي الحديث يقترب كثيرا من قول مجاهد في تفسير الامشاج بالوان النطفة, اذ قال: " أيْ الماءين أسبق أشبه عليه أعمامه وأخواله فكأنّما يشير إلى الصفات السائدة والمتنحية. وأمشاج صفة أو بدل من النطفة"[60].

اذ يرى الزمخشري: "بان قوله (نطفة امشاج) كبرمة أعشار، وبرد أكياس وهي ألفاظ مفردة غير الجموع، ولذلك وقعت صفات للأفراد"[61].

([53]) لسان العرب (مشبع) 2/368-367.

([54]) جامع البيان 29/205.

([55]) جامع البيان 29/205.

([56]) علم الأجنة 39-40 وينظر إعجاز القرآن في خلق الإنسان 14-15.

([57]) المصدر نفسه 37.

([58]) ينظر لسان العرب (مشج) 2/368-367.

([59]) ينظر الإشارات العلمية في القرآن الكريم / محمد وفا الميري 50.

([60]) تفسير النسفى 3/626 التبيان في إعراب القرآن 2/275.

([61]) الكشاف 4/1312.

أما ابن عاشور فيقول في ذات الصدد, بان "أمشاج ظاهرها صيغة جمع, وعلى ذلك حملها الفراء وابن السكيت والمبرد"[62]، وبذلك فهي اما جمع لمفردة مشج, بالكسر فسكون على وزن عدل, بمعنى ممشوج, وهو المخلوط مثل ذبح, وهذا ما ورد في اللسان لابن منظور, او تكون جمع لمشج, بفتحتين مثل سبب واسباب, اوجمع مشيج, بفتحر ثم كسر مثل كتف واكتاف, والاقرب للدقة ما ذهب اليه صاحب الكشاف في قوله ان: "امشاج مفرد كقولهم: بُرمة أعشار وبُرد أكياس.. فإذا كان أمشاج في هذه الآية مفرداً كان على صورة الجمع, فوصف نطفة به غير محتاج إلى تأويل، وإذا كان جمعاً كما جرى عليه كلام الفراء وابن السكيت والمبرد كان وصف النطفة به, باعتبار ما تشمل عليه النطفة من أجزاء مختلفة الخواص، فلذلك يصير كل جزء من النطفة عضواً, فوصف النطفة بجمع الاسم للمبالغة أيْ شديدة الاختلاط"[63].

وذات الرأي ما ذهب اليه الالوسي, والذي يرى بان امشاج:"صفة لنطفة ووصف بالجمع وهي مفردة؛ لأن بها مجموع ماء الرجل والمرأة... أو باعتبار الأجزاء المختلفة فيهما رقّة وغلظ وصفرة وبياض وطبيعة وقوة وضعف, حتى اختص بعضها ببعض الأعضاء على ما أراده الله تبارك تعالى بحكمته فخلق بقدرته... والحاصل أنه نزل الموصوف بمنزلة الجمع ووصف بصفة أجزائه"[64].

وقد ذهب بعض من اعل العلم الى اجازة وصف المفرد بالجمع, كما في قول الجعبري: "وجاز وصف الواحد بالجمع هنا, لأنه كان في الأصل متفرقاً ثمّ جمع :أي نطفة أخلاط" [65].

في حين ذكر القاسمي الوجهين, بقوله ان (من نطفة امشاج) هي ذات اخلاط, وهي من موادها التي تتألف منها, وهي جمع مشج او مشيج, كنصير وانصار, وسبب واسباب, او مفرد كبرمة اعشار, والبرمة القدر واعشار منكرة كأنها صارت عشر قطع[66].

اما من الناحية العلمية, فقد اثبت العلم حديثا ان هذه المفردة (امشاج) جاءت دقيقة للغاية, وهي صفة وصف بها تعالى النطفة المنفردة, والتي هي عبارة عن كائن ينتج عن اخلاط متعددة, تحمل جميعها صفات الاحفاد والاسلاف لكل جنين[67],

ومن ذلك قوله تعالى: **(ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ, ثم خلقنا النطفة عَلَقَةٌ)**[68].

وقوله تعالى: **(فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ)**.[69] وقال تعالى: **(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ)**[70], وقال تعالى: **(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً)**[71].

العلق في اللغة: قال الفراهيدي: "العَلَقُ: الدم الجامد قبل أن ييبس والقطعة عَلَقَة والعلقة: دُويبة حَمراء تكون في الماء، تُجْمَعُ على علق"[72].

([62]) معاني القرآن للفراء 214/3.

([63]) التحرير والتنوير 374/29.

([64]) روح المعاني 151/29.

([65]) التبيان في إعراب القرآن 275/2.

([66]) محاسن التأويل 5/17.

([67]) علم الأجنة 38.

([68]) المؤمنون /14.

([69]) الحج /5.

([70]) العلق / 1-2.

([71]) غافر /67.

([72]) العين (علق) 161/1.

وقال الجوهري: "وعُلِقَتِ الدابة إذا شربت الماء، فعلقت بها العَلَقَة"[73].

وجاء في لسان العرب لابن منظور: "عَلِق بالشيء عَلَقاً وعَلِقةٌ ينشب فيه.. وعُلِقَ الثوبُ من الشجر عَلَقاً وعُلوقا: بقي متعلقاً به... والعَلق كل ما عُلِّقَ .. وقيل الدم الجامد الغليظ.. والعَلق دُوَيدة حمراء تكون في الماء تَعْلَق بالبدن وتمص الدم... وعلقت المرأة إذا حبلت"[74].

وفي المفردات للاصفهاني: "العَلق التشبث بالشيء، يقال علق الصيد الحُبالة"[75].

اما اصطلاحا فلم تختلف تفسيرات المفسرين في هذه الايات عما قاله اهل اللغة, فمعنى العلقة هو الدم الجامد, والعلق هو دم العبيط, اي الطري, وقيل هو الدم شديد الحمرة, وقال القرطبي: "العلقة الدم الجامد واذا جرى فهو مسفوح" [76].

اما ابن كثير فقد قال: " فصارت علقة حمراء على شكل العلقة مستطيلة"[77].

وقال الصابوني: "وهو الدم الجامد الذي يشبه العلقة التي تظهر حول الأحواض والمياه"[78].

فالنطفة التامة والتي يطلق عليها بالمكتسبة الجرثومية ترجمة للمصطلح العلمي (BLA stocyst), تلتصق بجدار الرحم بعد اليوم السادس من بدارة طور الانغراس, او الحرث, حتى تنزع بشكل تام, وهذه العملية ستتغرق فترة تزيد عن اسبوع, لحين التصاق النطفة بالمشيمة البدائية, من خلال ساق مواصلة, بحيث تصبح فيما بعد الحبل السري, وخلال عملية الحرث تفقد النطفة شكلها لتأخذ شكل جديد وهو ما يعرف بالعلقة, وهذا ما وصفه القران الكريم بالعلقة لتعلقه [79].

وهذا القول يتفق مع معنى التعلق بالشيء, والذي يعد من التفسيرات المستحدثة لمفردة العلقة.

اما اذا سلمنا بالمعنى الحرفي للعلقة والذي يعبر عنه بالدودة العالقة, ففي هذه الحالة سنجد ان الجنين لاحقا سيفقد شكله المستدير, ويحول الى شكل مستطيل حتى يصبح على شكل الدودة, وم نثم يبدأ بالتغذي من دماء الام, على النحو الذي عليه الدودة العالقة, حيث تتغذى من دماء الكائنات الاخرى, فالجنين يحاط بمانع مخاطي كما تحاط الدودة بالماء, واللفظ القراني (علقة) يبين هذا المعنى بوضوح تام, تماشيا مع ملامح الجنين وتحولاته خلال هذه المرحلة.

ووفقا لمعنى الدم الجامد او الغليظ, فان المظهر الخارجي للجنين في هذه الحالة واكياسه تحاطي وتشابه الدم المتخثر, لان القلب الاولي وكيس المشيمة ومجموع الاوعية الدموية القلبية, تظهر خلال هذه المرحلة وتكون الدماء فيها محبوسة داخل الاوعية الدموية, حتى لو كان الدم سائلا, فلا يبدأ الدم بالدوران لغاية انتهاء الاسبوع الثالث, وخلال هذهالمرحلة يبدأ الجنين ياخذ مظهر الدم الجامد مع كونه رطبا [80].

([73]) الصحاح (علق) 1529/4.

([74]) اللسان (علق) 263/10.

([75]) مفردات الراغب (علق) 513.

([76]) جامع لأحكام القرآن 119/20.

([77]) تفسير القرآن العظيم 241/3.

([78]) صفوة التفاسير 281/2.

([79]) علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة, ص62.

([80]) علم الاجنة في ضوء القران والسنة, ص61, وايضا ينظر اعجاز القران في خلق الانسان, ص29-40.

ومما سبق يبدو ان وصف الفراهيدي للعلقة هو ادق وصف, عندما وصفها بالدم الجامد او الغليظ قبل ان ييبس.

اما بخصوص الفترة التي يستغرقها التحول من مرحلة النطفة للعلقة الامشاج, فان الجنين يستغرق خلال مرحلة الانغراس او الحرث لاكمال هذا التحول ببطء نحو اسبوعين, منذ بداية عملية الحرث, ولغاية مرحلة التحول للعلقة, وفي اليوم الرابع عشر يبدا التعلق والذي يبدأ معه نمو الحبل الظهري منذ اليوم السادس عشر, ولغاية اكتمال شكل العلقة ومظهرها[81].

ومن الدلالات القرانية على الفترة التي تستغرقها هذه التحولات للجنين نجد حرف العطف (ثم), والذي يدل على انقضاء فترة معينة لتحول الجنين الى طور جديد[82].

كما في قوله تعالى: **(خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ, ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ, ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً)**[83].

وفي ذلك يقول الفراهيدي: "المِضاغُ كل ما يمضغ والمضغة: قِطعة اللحم... والمضغة كل لحم يخلق من علقة... والمضغُ من الأمور صغارها"[84].

اما في لسان العرب: "مَضَغَ يَمْضَغُ مضْغا: لاك. وأمْضَغه الشيء ومضَّغه لاكه إياه... ومضَغَ الطعام يَمضَغه مَضْغا... والمضُغْة القطعة من اللحم لمكان المِضغِ أيضاً، التهذيب: المضغة هي قطعة اللحم، وقيل إن المضغة غير اللحم.. ويقول خالد بن جَنْبةَ: المضغةُ من اللحم قَدرُ ما يُلْقى الإنسان في فيه... والجمعُ مُضَغٌ.

فسر المفسرون المضغة: بالقطعة الصغيرة من اللحم قدر ما يمضغ"[85].

والى هذا النحو اشارابن كثير في تفسيره لسورة المؤمنين: في سورة المؤمنين إلى "أن المضغة هي القطعة كالبضعة من اللحم لا شكل فيها ولا تخطيط"[86].

اما قوله تعالى (مخلقة وغير مخلقة), فقد اختلف المفسرون حول مدلولها, فقيل ان المخلقة هي ما كان خلقا سويا, واما الغير مخلقة فهي ما دفعته الارحام (السقط), وقيل ان معناها المضغة المصورة انسانا وغير مصورة, فاذا صورت تكون مخلقة, واما اذا لم تصور فهي حينئذ غير مخلقة, وفي ذلك قول ابن زيد: "المخلقة التي خلق الله فيها الرأس واليدين والرجلين، وغير مخلقة التي لم يخلق فيها شيء"[87].

وقال الرازي: "كأنّ سبحانه قسم المضغة إلى قسمين: أحدهما تامة الصور والحواس والتخطيط. وثانيهما: الناقصة من هذه الأمور فبين أن بعد أن صيره مضغةً منها ما خلقه إنساناً تاماً بلا نقص ومنها ما ليس كذلك وهذا قول قتادة والضحاك. فكأن الله تعالى يخلق المضُغ متفاوتة, منها ما هو كامل الخلقة صفر العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك"[88].

وقد استند التفسير العلمي للايتين السابقتين الى القواعد اللغوية, وعلى اساس ذلك ذهب اهل العلم الى ان قوله تعالى في الايه السابقة مطابق تماما للواقع, فالعلم الحديث يخبرنا بان الجنين يدخل في اليومين 23-24, مرحلة العلقة, ومن ثم يتحول لمضغة

([81])علم الأجنة, ص63.

([82]) علم الأجنة, ص64.

([83]) المؤمنون /12-14.

([84]) العين (مضغ) 370/4.

([85]) لسان العرب (مضغ) 452/8-450.

([86]) تفسير القرآن العظيم 241/3.

([87]) ينظر جامع البيان 116/17-117. وينظر الكشاف 746/2 تفسير القرآن العظيم 207/3-208. صفوة التفاسير 281/2.

([88]) التفسير الكبير 8/23.

بعد اليومين (25-26) من مرحلة النطفة الامشاج, ويأتي هذا التحول سريعا جدا, ويتم خلال اخر يومين من مرحلة العلقة, نظرا لاتخاذه بعض خصئص المضغة فتأخذ العلقة بعض خصائص المضغة, لتصبح معلما بارزا لهذا الطور [89],

ولان العديد من الكتل البدنية او الفلقات تتكون خلال هذه المرحلة فان الجنين يبدو وكأنه مادة ممضوغة عليها اشبه بطبعات انسان بارزة, وبالتالي يبدو كمضغة.

ويمكن ملاحظة مدى التطابق الكبير للفظة المضغة من حيثوصفها الدقيق للعمليات الجارية خلال هذا الطور من خلال النقاط التالية:

1- ظهور العلقات يعطي مظهرا على الجنين اشبه لمظهر الاسنان في مادة ممضوغة, وتبدو حينئذ وكأنها تتغير باستمرار, مثلما تتغير اثار طبعة الاسنان في شكل مادة تمضغ, حين اكلها, وذلك التغير السريع الذي يحدث في هيأة الجنين وصفه القران بدقة متناهية.

2- ان اوضاع الجنين تتغير نتيجة تحولات في مركز ثقله, نتيجة تكون الانسجة الجديدة, وهذا الامر يشبه تغير وضع وشكل المادة عند مضغها بالاسنان.

3- كما تستدير المادة الممضوغة قبل بلعها, فان ظهر الجنين يبدأ مع ذل كبالانحناء حتى يأخذ شكلا مقوسا شبه مستدير, يشبهه العلماء بالحرب (C) باللغة الانكليزية.

4- يبلغ طول الجنين حوالي (1سم) نهاية هذه المرحلة, وهو ما يطابق الوجه الثاني من المعنى المراد للمضغة (الشيء الصغير من المادة), الامر الذي ينطبق على حجم الجنين الصغير[90].

وفي ذلك يوضح دياب وقرقوز بان: "تطور المضغة يمر إذاً بمرحلتين: المرحلة الأولى حيث لم يتشكل أي عضو أو أي جهاز وسمّيناها مرحلة المضغة غير المخلقة، و المرحلة الثانية حيث تم فيها تمييز الأجهزة المختلفة وسميناها المضغة المخلقة، وهكذا يتضح جلياً إعجاز القرآن الكريم في وصفه لطور المضغة بقوله تعالى: (ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة). وعلى ذلك فان مرحلة المضغة تبدأ من الأسبوع الثالث وتكون هذه المرحلة غير مميزة حتى نهاية الأسبوع الرابع, وتكون في هذه المرحلة غير مميزة حتى نهاية الأسبوع الرابع، ويبدأ التمايز في بداية الأسبوع الخامس، وهو ما يؤدي إلى ظهور الأعضاء والأجهزة، وبذلك يكون قبل مرحلة التمايز هو المضغة غير المخلقة، وما بعد التمايز يعتبر المضغة المخلقة"[91].

([89]) علم الأجنة 64 – 65.

([90]) المصدر نفسه 67 – 69.

([91]) إعجاز القرآن في خلق الإنسان 58 – 59.

اما الزنداني فيقول: "لو أننا شرحنا الأجزاء الداخلية للمضغة، سنجد أن معظم الأجهزة قد تخلقت، وأن جزءاً من الخلايا قد تخلق وجزءاً آخر لم يتخلق بعد"[92]، وإذا أردنا أن نصف هذه المضغة، فهي (مخلقة وغير مخلقة) كما يقول الدكتور البروفيسور مارشال جونسون"[93]

المبحث الثاني: الآيات القرانية في الخلق التكويني

اذا ما اردنا دراسة موضوع محدد في القران, فان ذلك يحتاج لجمع ايات معينة تخص هذه المسألة, فالقران على النحو الذي اشرنا اليه سابقا هو نص واحد متناسق ومتجانس يكمل بعضه البعض, والذي يخفى في اية يتضح في اية اخرى لاحقة, فليس هناك اي تعارض بين اياته, اذ ان ما كان ظاهرها متعارض يرجع على عدم العلم الدقيق باساليب القران الكريم ومنزله تعالى جل جلاله. ففي قوله تعالى (مضغة) في سورة المؤمنين, نجد انه استخدم حرف العطف (ف) والذي يفيد التتابع السريع للاحداث, ويتضح ذلك في قوله: (فخلقنا العلقة مضغة).

ويرى البعض بان "الفاء هنا تفيد سرعة تحول الجنين من طور العلقة إلى طور المضغة، فاذا ما عدنا لسورة الحج نجد حرف العطف (ثم), والذي يفيد التراخي هو المستعمل في عطف المضغة المخلقة وغير المخلقة على العلقة قال الله تعالى: (.. ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة)" [94].

واذا ما عدنا لاراء المفسرين بهذا الصدد نجد ان منهم من ذهب الى تفسير (خلقنا العلقة مضغة) بمعنى جعلنا الدم الجامد مضغة, اي قطعة لحم ليس لها شكل, ولا تخطيط, وقد ذهب ابن كثير لهذا الرأي في تفسيره لقوله تعالى من سورة المؤمنين[95].

وهو ما يذهب اليه دياب وقرقوز, اذ يران بان عملية تطورالمضغة يمر عبر مرحلتين, الاولى لا يتشكل فيها اي عضو او جهاز, وقد اطلقو عليها مرحلة النطفة غير المخلقة, الا ان هذه التسمية تفيد معنى اخر ورد في سورة الحج سنأتي على بيانه في موضع لاحق من هذه الدراسة, وهذا مما لم يذكر في سورة المؤمنين.

والامر ذاته ما انتهى اليه الدكتور ناطق النعيمي, والذي يرى بان: "جسم الجنين يمر بمراحل انتفاخات غير منتظمة، لا يمكن وصف شكلها الخارجي إلا بكلمة المضغة، وقد أوضح أن هذه الانتفاخات الجسمية هي تشكيل أوليّات لأجهزة الجسم"[96].

ونستنتج مما سبق ان القران انما استعمل حرف (ف) والذييفيد التتابع السريع لوصف بداية نشأة الجنين في مرحلة المضغة, فالعلقة تتحول لمضغة بشكل سريع الا ان هذه المضغة في مراحلها الاولى والتي لا تزال فيها لم تخلق بعد وان ظهرت منها بعض الكتل البدنية, تم وصفها بالمضغة نظرا لحجمهاالصغير وهو ما لا يتنافى مع اعتبارها مضغة.

([92]) ينظر: الزنداني ، إنه الحق, ص15.

([93]) اعجاز لاقران, ص61.

([94]) ينظر: الزنداني ، عبدالمجيد، كتاب إنه الحق 15، وتيسير الرحيم الرحمن 48 – 49.

[95] تفسيراقران, لابن كثير, 192/5.

([96]) إعجاز القرآن في خلق الإنسان, ص66.

وفي ذلك يذكر ابن كثير ان: "المضغة لا شكل فيها ولا تخطيط، ثم يدخل في التشكيل والتخطيط، فيصور منها رأس ويدان..... إلخ", الا ان تفسير الاية من الناحية العلمية وفقا لما توصل اليه العلم الحديث يشير الى ان بداية هذا التكوين وتخصص الخلايا انما يبدأ في المرحلة الاولى للمضغة, وهذا ما اشار اليه الدكتور (كيث مور)، بقوله: "ان وصف المضغة في سورة الحج بـ (المخلقة وغير مخلقة) هي وصف للمرحلة الثانية وليس معنى مخلقة المرحلة الثانية وغير مخلقة المرحلة الأولى, ومما يدل على هذا أنه قام بتقديم قوله مخلقة على قوله (غير مخلقة)، والذي يقرأ هذه السورة، يرى أن سياق الآية يسير على الترتيب قال الله تعالى: (فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة)" [97].

الا ان ما يبدو لنا هو ان التفسير الذي ذهب اليه الزنداني ادق واعمق واقرب الى الحقيقة والله اعلم, حيث اشار الى ان: "مخلقة وغير مخلقة هي صفة لمضغة واحدة في وقت معين، وهو أن نصفها قد بدأ فيه الحياة، والآخر لم يتخلق بعد, فهو يوضح المرحلة المتأخرة لهذه المضغة وبشكل واضح ودقيق لا يمكن معرفته وقت نزول القرآن الكريم، وبهذا تتضح دقة استعمال القرآن الكريم للحروف وإعجازه العلمي".

ومن الجانب البلاغي، فإنّ التشبيه لا يخلو من دقة عالية ومتناهية في وصف هذه المضغة باللقمة، كما أشار الدكتور كيث مور، وكما نجد في هاتين الآيتين القرآنيتين مشاهد طويلة تصف مرحلة الجنين، وتُعرض بهذا التفصيل، وتُذكر فيها جميع الخطوات؛ لأنها معروضة للعبرة، فضلاً عن التأثير الوجداني في النفوس، ولبيان دقة العلم الإلهي، حينئذٍ يحسن ولا شك التطويل[98].

قال الله تعالى: (.. **فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً** ..)[99]

قول الله تعالى: فخلقنا المضغة عظاماً أيْ بمعنى صيرنا اللحم عظاماً صلبة، ويقول ابن عباس: وهو عظم صلب (فكسونا العظام لحماً) أي سترنا تلك العظام باللحم وجعلناه كالكسوة لها[100].

يستمر طور المضغة حتى الأسبوع السادس تقريباً، ويظهر طور العظام في بداية الأسبوع السابع بتطور الهيكل العظمي الغضروفي[101] .

وهو ما اثبته العلم الحديث, والذي انتهى الى ان الخلية الام للنسيج العصبي والعظمي والعضلي اما هي خلية واحدة للكل, فاول ما يتشكل من الجنين هو الهيكل العظمي, وعليه فان اول ما يظهر بالنمو في جسم الانسان من الانسجة تلك الخاص ةبالعظام, ومن ثم تنشأ العضلات من حولها بعد ذلك, حتى تتولى الانسجة التي تخرج منها العناية بمختلف الاعضاء [102].

وتظهر مراكز التعظم بداية فيالهيكل الغضروفي منذ الاسبوع السابع, فيتصلب البدن, ومن ثم تظهرالاطراف ويتميز الرأس من الجذع, ثم يبدأ الجنين في الطور الاخر من التخليق وهو اكساء العظام باللحم, وهذا يتوافق مع ما اثبته العلم الحديث بالدليل القاطع والبراهين في علم الاجنة,حيث ثبت ان العظام انما تخلق في المرحلة الاولى, ومن ثم تكسوها بعد ذلك العضلات, عند نهاية

([97]) التصوير افني في القران, ص101.

([98]) ينظر التصوير الفني في القرآن الكريم 105.

([99]) المؤمنون / 13.

([100]) ينظر جامع البيان 9/18 تفسير البغوي 3 /304 التفسير الكبير 23 / 74 تفسير القرآن العظيم 3 /241 إرشاد العقل السليم 136/6 فتح القدير 477/3 محاسن التأويل 75/12 صفوة التفاسير 304/2.

([101]) ينظر علم الأجنة 79.

([102]) الإشارات العلمية في القرآن الكريم / د. كارم السيد عنيم 456.

الاسبوع السابع وبداية الاسبوع الثامن من مراحل تكون الجنين, ومنه تنتهي مرحلة التخليق, حيث تبدأ الاجهزة الداخلية والخارجية للجسم بالنمو جميعا بشكل مصغر [103].

اما فيما يتعلق بقوله تعالى:(.. **ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**)[104].

فقد ختلف اهل التفسير في تأويل هذا المعنى, فذهب جماعة من المفسرينالى ان المراد منه هو نفخ الروح, وفيذلك قال قتادة وغيره: "نبات الأسنان والشعر، وعن مجاهد: استواء الشباب، وقيل أيضاً: خروجه من بطن أمه، وكذلك قيل: خلقاً آخر صورة البدن، وعن ابن عباس: يعني ننقله من حال إلى حال، إلى أن خرج طفلاً ثم نشأ بعدها صغيراً، ثم احتلم وصار في مرحلة الشباب، ثم صار كهلاً وبعدها شيخاً ثم هرماً"[105].

اما مرحلة النشأة والتكوين فتبدأ في الاسبوع التاسع, وحينئذ يكون معدل نمو الجنين بطيء للغاية, حتى الاسبوع الثاني عشر, وعندها يدخل في طور جديد تماما من اطوار النمو السريع تتسم بالتغير الكبير والسريع [106].

لذا فان حرف العطف (الواو) قد جاء في هذه الاية قبل انشأناه, ليفيد بان مرحلة النشأة انما تأتي لاحقة لمرحلة اكساء الجنين باللحم على التراخي بشكل بطيء في الزمن تدريجيا, كما ان معظم الاعضاء تظهر بعد الاسبوع الحادي عشر, وهو ما اشار اليه القران الكريم بحرف العطف (ثم).

فتبارك تعالى احسن الخالقين وافضل المصورين واقدر المقدرين.

الخاتمة:

أ- النتائج

احتوى البحث على نتائج تفصيليّة كثيرة، اوجزها بما يلي :

1. إن القصص القرآني هو تقنية من تقنيات عرض المضمون الفكري لدعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى الرغم من تناثر هذا المضمون في بطون قصص أخرى أغلبها قصص للأنبياء السابقين، تتحد جميعها ضمن المضمون الفكري للقصة الكبرى (قصة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم) .

2. تكشف قصة النبي آدم صلى الله عليه وآله وسلم عن مراحل الاختبار الإلهي لكلٍّ من بني آدم صلى الله عليه وآله وسلم والملائكة والجن ؛ من عرض الأمانة واختيار الإنسان حملها حتى نزول الإنسان إلى الأرض، وقد كان لهذا الاختبار أهميّة كبيرة في إكساب الإنسان قدرةً تُمكّنه من حمل الأمانة التي اختارها (خلافة الأرض) .

([103]) تيسير الرحيم الرحمن 52-53.

([104]) المؤمنون / 14.

([105]) ينظر جامع البيان 9/18، زاد المسير 462/5 – 463 تفسير البغوي 304/3 فتح القدير 477/3.

([106]) ينظر علم الأجنة 91. تيسير الرحيم الرحمن 53.

أما قصة ابني آدم صلى الله عليه وآله وسلم، فهي تكشف عن فلسفة الصراع بين الخير والشّر، وهذا الصراع لا يتوقّف عند وظيفة واحدة يمرّ بها البطل في مرحلة مُعيّنة، لأنه مستمرٌ حتى نهاية القصة، بل هو مستمرٌ باستمرار الحياة البشرية على الأرض، وهذا ما يتّضح من خلال صراع النبي نوح والأنبياء الذين بعده من أجل الدعوة إلى توحيد الله عزّ وجل وطاعته،

3. إن قصة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هي القصة الأم في القرآن الكريم، وقد ضُمّنت بقيّة القصص فيها، وبذلك يكون النسق الأساس لبناء قصص الأنبياء في القرآن هو نسق التضمين وباقي الأنساق البنائية تابعة له . وهذا يدلّ على وحدة المبنى الحكائي للقصص القرآني، وهذا يدل على تميّز القرآن الكريم ببنية فردية خاصة .

4. تميّز الأسلوب القرآني بعدم ذكر كلّ أحداث القصص بالتفصيل، وإنما يذكر منها ما يُحقّق غاياته في تثبيت قلب النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن معه من أصحابه، وترهيب الكافرين بتحذيرهم من العذاب وترغيبهم بالثواب إن آمنوا، وفي كلّ ذلك عبرة لمن أراد أن يعتبر.

المصادر والمراجع:

1. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح : د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، ط2، مطبعة الصدر، 1410هـ .
2. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تح : شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، د . ط، د . ت .
3. مفردات ألفاظ القرآن، العلاّمة الراغب الأصفهاني، تح : صفوان عدنان داوؤي، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط1، 1426هـ .
4. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، د . ط، د . ت .
95. مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ أبو الفضل بن الحسن الطبرسي، د . م، طهران، ط3، 1382هـ
5. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، السيد محمد الآلوسي البغدادي ت 1270هـ، تح : علي عبد الباري عطية، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2005 .
6. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت، د . ط، 1981م
7. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط34، 2004م.

8. البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، تح : صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، د . ط، 2005م

9. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، السيد محمد الآلوسي البغدادي ت 1270هـ، تح : علي عبد الباري عطية، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2005 .

10. البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، تح : لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي للطباعة، بيروت، ط1، 1999م .

11. التفسير البنائي للقرآن الكريم، د. محمود البستاني، مؤسسة الطبع التابعة للأستانة الرضوية، ط1، 1422 ق – 1380 ش .

12. التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي الشافعي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م .

13. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة المجتبى، قم، ط1، 2004م .

14. مباحث في التفسير الموضوعي، د. مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط2، 1997م .

15. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، السيد محمد الآلوسي البغدادي ت 1270هـ، تح : علي عبد الباري عطية، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2005 .

JOURNAL INDEXING

مَجَلَّةُ اَلتُّرَاثْ

AL TVRATH Journal (ALTJ)

ثلاثية، دولية، دورية، محكمة، تعنى بالدراسات الإنسانية والإجتماعية

متعددة التخصصات، متعددة اللغات

Trimestral, International, Periodic And Arbitrated Manner, Devoted To Human And Social Studies

Multidisciplinary, Multilingual.

LEGAL DEPOSIT: 2011- 1934 **ISSN: 2253-0339** **E-ISSN: 2602-6813**